

# الشعر على اللسان النبوي

للسيد جلال الحنفي

الذي لازلنا نسמע ونقرأه بحيث بات من البديهيات التي لا يُتجادل فيها ، وأسبغ من غير المحمود الخروج عليه : أن الشعر لم يكن يلتزم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم . ويقال إن النبي أنشد قول طرفة المشهور على هذا الشكل :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

وبأتيك من لم تزود بالأخبار

فقيل له : ليس البيت كذلك يارسول الله ، وإنما هو هكذا :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

وبأتيك بالأخبار من لم تزود

فرجع صلى الله عليه وسلم منشداً للبيت كما أنشده من قبل ، ولم يتمكن من إنشاده بلفظه

وإني لأعجب منتهى العجب كيف يسوغ لأحد أن يتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا التلميح الذي يتقص أي امرئ إذا نسب إليه ، وناهيك بالنبي وهو أفصح من نطق بالضاد ، وصاحب الكلام الجوامع

ولا أريد هنا أن أدلى بالنصوص التي يعلم منها أن النبي رغب في الشعر وحث عليه وانتخر ببعض رجاله ، ودرج على ذلك بقية من أصحابه ، وإنما أعرض هنا طائفة من المواطنين التي تقبم الحجة على أن ما يسند إلى الرسول غير صحيح ، وأنه أنشد بضممة أبيات في أحوال متعددة من دون أن يخرجها عن سننها

فانقد أنشد صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق من شعر عبد الله بن رواحة :

هذا الرجال لا جمال خبيرٌ هذا أبرُّ ربنا وأظهر

ولكن ابن شهاب الزهري قال تعليقا على هذا تحاصفاً من الحجة التي تقع على القاعدة الموضوعية في هذا الأمر ، قال :

« ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت »

والحقيقة أيضاً خلاف هذا إذ أنه صلى الله عليه وسلم أنشد في حفر الخندق أيضاً لابن رواحة على ما رواه البخاري ومسلم والمؤرخون (١) :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

والشركون قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا

وأنشد رسول الله يوم الخندق أيضاً (٢) :

بسم الآله وبه هدينا ولو عبدنا غيره شفقينا

يا حبذا رباً وحب دينا

وأنشد عليه الصلاة والسلام لأمية (٣) :

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

وأنشد فيها أنشد (٤) :

أتيناكم أتيناكم فخيونا نحيكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت نواديكم

ولولا الحبة السمرا لم تسمن عذاركم

وكان صلوات الله عليه كثيراً ما ينشد لعنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أمال به كريم الما كل

وينشد للبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وإني لأخجل في تحقيق مثل هذا الأمر والدفاع عن النبي

صلى الله عليه وسلم فيما علقوه به من هذا المعجز عن النطق بالبيت

على وزنه من حيث لاحكامه هنالك ، ولولا أن تكون هذه المسألة

ضاربة أطرافها بين المتفادات لما أسلكت قلبي في سبيل نقدها

(بفرد)

مهول الحنفي

خطيب جامع عطاء

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤ : ٩٦)

(٢) البداية والنهاية (٤ : ٩٦)

(٣) خزنة الأدب للبندادي (١ : ١٢٠)

(٤) نقد العلم والعلماء لابن الجوزي (س : ٢٤)